صوت الصدر عند الخليل وسيبويه ومَنْ تبعهما مِنَ النحويّين

أ. د. نعيم سلمان البدريّ
جامعة واسط / كليّة التربية

المقدمة

يرد مصطلح (صوت الصدر) أوّل ما يرد في كتاب العين في سياق شرح الخليل ت١٧٥هـ لمفردة (الهَمْس) إذ يقول:" الهَمْسُ حسّ الصوت في الفم ممّا لا إشراب له من صوت الصدر، ولا جهارة في المنطق، ولكنّه كلام مهموس في الفم كالسرّ "[١]، وعلى الرغم من أنّ الخليل لم يكن بسبيل الكلام على صفات الأصوات، وإنّما كان في سياق بيان دلالة مفردة (الهَمْس) كما هو واضح نرى أنّه في قوله:" ممّا لا إشراب له من صوت الصدر، ولا جهارة في المنطق، ولكنّه كلام مهموس .... "، يلمح إلى مصطلح (الهَمْس) الذي يقابل (الجهر) في صفات الأصوات، فالمصطلح إذن خليليّ. وقد ورد المصطلح أيضا عند سيبويه ت١٨٠هـ إذ يقول:" وأمّا الحروف المهموسة فكلّها تقف عندها مع نفخ؛ لأنّهن يخرجن مع التنفّس لا صوت الصدر، وإنّما تنسلّ معه "[٢].

وإذا جمعنا بين نصّ الخليل ونصّ سيبويه نستطيع أن نخلص إلى أنّ (صوت الصدر) لا يكون مع الحروف المهموسة عند الخليل وسيبويه، فنصّ العين ونصّ الكتاب وَاضِحَا الدلالة على ذلك، فهل نستطيع أن نفهم من هذا أنّ صوت الصدر فارِقٌ بين المجهور والمهموس عند سيبويه؟!.

لقد ذهب إلى ذلك جماعة من الباحثين في الأصوات، إذ يقول الدكتور إبراهيم أنيس في تفسير (صوت الصدر):" ولعلّ هذا الصوت هو صدى الذبذبات التي تحدث في الوترين الصوتيين بالحنجرة، وهذا الصدى نحسّ به ولا شكّ في الصدر، كما نحسّ به حين نسدّ الأذنين بالأصابع، أو حين نضع الكفّ على الجبهة، فهو الرنين الذي نشعر به مع المجهورات، وسببه تلك الذبذبات التي في الحنجرة"[٣]. وتابعه الدكتور عبد الصبور شاهين إذ يقول :" فقد أدرك سيبويه إذن صدى الصوت لا الصوت ذاته، لعدم معرفته بمصدر الذبذبة الصوتيّة"[٤].

ويقول أيضا إنّ سيبويه:" حاول أن يلقي مزيدا من الضوء على فكرته حين تحدّث في مواضع أخرى

عن الفرق بين المجهور والمهموس فجعل أساس هذه التفرقة (أنّ صوت المجهور من الصدر والفم، وصوت المهموس من الفم وحده)"[٥].

ونريد أن نوضّح هنا أنّ الدكتور عبد الصبور شاهين قد وضع كلام سيبويه بين هلالين، وأحال على طبعة بولاق (الجزء الثاني ص٢٨٤) ولم نجد ذلك عند سيبويه، ونرى أنّه قد نسب إلى سيبويه ما لم يقله!.ويقول الدكتور غانم قدوري الحمد:" أمّا (صوت الصدر) الوارد في النصّ، وهو ما جعله سيبويه جوهر الأصوات المجهورة، ويقابله ما سمّاه (صوت الفم) الذي تتكوّن منه الأصوات المهموسة، فلعلّ المقصود به تلك النغمة الصوتيّة الناجمة عن اهتزاز وذبذبة الوترين الصوتيّين حال النطق بالأصوات المجهورة، فأدرك سيبويه أثرها الصوتيّ ولم يدرك مصدرها، فنسبها إلى الصدر؛ لأنّ صداها يتردّد هناك"[٦]. والنصّ الذي يشير إليه الدكتور الحمد هو ما نقله السيرافيّ ت٣٦٨هـ عن الأخفش ت٢١٥هـ من قوله:" سألت سيبويه عن الفصل بين المهموس والمجهور، فقال : المهموس إذا أخفيته ثمّ كرّرته أمكنك ذلك، وأمّا المجهور فلا يمكنك ذلك فيه، .... وأحسبه ذكر ذلك عن الخليل. قال سيبويه: وإنّما فرّق بين المجهور والمهموس أنّك لا تصل إلى تبيين المجهور إلّا أن تدخله الصوت الذي يخرج من الصدر، فالمجهورة كلّها هكذا يخرج صوتهنّ من الصدر ويجري في الحلق، وأمّا المهموسة فتخرج أصواتها من مخارجها، وذلك ممّا يزجي الصوت، ولم يعتمد عليه فيها كاعتمادهم في المجهورة، فأخرج الصوت من الفم ضعيفا، والدليل على ذلك أنّك إذا أخفيت همست بهذه الحروف، ولا تصل إلى ذلك في المجهور، فإذا قلت: شخص، فإنّ الذي أزجى هذه الحروف صوت الفم، ولكنّك تتبع صوت الصدر هذه الحروف، بعدما يزجيها صوت الفم ليبلغ ويفهم بالصوت، فالصوت الذي من الصدر هاهنا نظير ذلك الصوت الذي ترفعه، بعدما يزجي صوت الصدر .... "[٧]، وهو النصّ نفسه الذي اعتمد عليه الدكتور إبراهيم أنيس في فهمه لـ (صوت الصدر) عند سيبويه.وقريب من ذلك ما ذهب إليه الدكتور حسام سعيد النعيميّ في كلامه على حروف القلقلة إذ يقول:" وكأنّ صوت الصدر الذي يشير إليه [ابن جنّيّ] مع المجهورة هو ما أحسّه من نزيز الوترين معها "[٨]، لكنّ كلامه كان على حروف القلقلة عند ابن جنّيّ ت٣٩٢هـ، ويظهر أنّ كلام ابن جنّيّ هناك يكاد يكون كلام سيبويه نفسه[٩]. وقد يكون قريبا منه أيضا ما ذهب إليه الدكتور أحمد محمّد

قدّور حين قال :" أمّا صوت الصدر الوارد في مكان آخر من كتابه [يعني: كتاب سيبويه] كما سبقت الإشارات، فلا بأس من أن يؤوّل بأنّه صوت يدلّ على نبر ناتج عن حركة الوترين التي يتردّد رنينها وصداها في الحنجرة والرُّغامى(١٠)، ويوحي بدءا أنّه في الصدر بحسب معارف القوم عصرئذ ..."(١١)، ويقول:" فصوت الصدر إذن علامة على المجهور دون المهموس"(١٢).ونحو هذا ما ذهب إليه بعض علماء العربيّة القدماء إذ يقول ابنُ الأنباريّ ت٣٢٨هـ:"والحرف المجهور سُمِّي مجهوراً؛ لأَنَّ اعتماد اللِّسان يشتدُّ في موضع الحرف منه، فلا يجري النفس حتَّى ينقضِي الاعتماد، ويخرج صوت الصدر مجهوراً، والمهموس سُمِّيَ مهموساً؛ لأَنَّ اعتماد اللِّسان يضعف في موضع الحرف منه، فيجري النفس قبل انقضاء الاعتماد، ويخرج صوت الصدر مهموساً"(١٣).

ويقول الرضيّ الأستراباذيّ ت٦٨٨هـ في الفصل بين المجهور والمهموس :" والمجهورة تخرج أصواتها من الصدر، والمهموسة تخرج أصواتها من مخارجها من الفم، وذلك ممّا يزجي(١٤) الصوت فيخرج الصوت من الفم ضعيفا، ثمّ إن أردت الجهر بها وإسماعها أتبعت صوتها بصوت من الصدر ليفهم...."(١٥).في ضوء ما تقدّم يمكن أن يطمئنّ الباحث إلى القول بأنّ " سيبويه تمكّن من تصنيف الأصوات إلى مجهورة ومهموسة، استنادا إلى إدراكه للفرق بين طبيعة القسمين الناتج عن اهتزاز الوترين الصوتيين التي سمّاها سيبويه صوت الصدر ...."(١٦).غير أنّ عبارات سيبويه في الكتاب بشأن (صوت الصدر) تثير مشكلا يصعب حلّه فيما نرى؛ ذلك أنّه لم يذكر صوت الصدر في كلامه على مخارج الأصوات وصفاتها من حيث الجهر والهمس، أو من حيث الشدّة والرخاوة، بل جاء كلامه على صوت الصدر في باب (الساكن الذي يكون قبل آخر الحروف فيحرَّك لكراهِيَتهم التقاء الساكنين) إذ قال :" واعلم أنّ من الحروف حروفاً مُشْرَبة ضُغِطَتْ من مواضعها، فإذا وقفتَ خرج معها من الفم صُوَيْتٌ، ونبا اللسان عن موضعه، وهي حروف القَلْقَلة، وستُبَيَّنُ أيضاً في الإدغام إن شاء الله وذلك القاف والجيم والطاء والدال والباء؛ والدليل على ذلك أنّك تقول الحِذْقْ فلا تستطيع أن تقف إلا مع الصُّويت لشدّة ضغط الحرف، وبعض العرب أشدُّ صوتاً كأنّهم الذين يرومون الحركة "(١٧)، ومقصود سيبويه بالصويت هنا صوت الصدر؛ ذلك أنّه قال بعد ذلك:" ومن المُشْرَبة حروف إذا وقفتَ عندها خرج معها نحوُ النَّفخة، ولم تُضْغَطْ ضَغْطَ الأولى وهي الزاي والظاء والذال والضاد

"[١٨]، .... فهذه الحروف يخرج معها (نحو النفخة) ولم تضغط ضَغْطَ الأولى، وأنّ صوت الصدر لا يكون معها؛" لأنّ هذه الحروف إذا خرجت بصوت الصدر انسَلَّ آخره، وقد فَتَرَ من بين الثنايا؛ لأنّه يجد منفذاً فتسمعُ نحو النفخة "[١٩]، ومعنى (انسَلَّ): خرج أو انطلق في استخفاء، ومعنى (فَتَرَ): سكن بعد حِدّة [٢٠]، ثمّ يقول سيبويه بعد ذلك:" وأمّا الحروف المهموسة فكلُّها تقف عندها مع نَفْخٍ؛ لأنّهنّ يخرجن مع التَّنفُّس لا صوت الصدر، وإنّما تَنْسَلُّ معه، وبعض العرب أشدُّ نَفْخاً كأنّهم الذين يرومون الحركة فلا بدّ من النَّفْخ؛ لأنّ النَّفَس تسمعه كالنَّفْخ "[٢١]، فالأصوات عنده على أربعة أقسام:

١. أصوات إذا وقفت عليها خرج معها من الفم صُوَيْتٌ هو صوت الصدر، وهي حروف القلقلة (القاف والجيم والطاء والدال والباء).

٢. وأخرى إذا وقفت عندها خرج معها نحو النفخة، وهي الزاي والظاء والذال والضاد.

٣. وأخرى تقف عندها مع نفخ، ولا يكون معها صوت الصدر وهي المهموسة.

٤. وأخرى" حروفٌ مُشْرَبة لا تسمع بعدها في الوقف شيئاً ممّا ذكرنا؛ لأنّها لم تضغط ضَغْطَ القاف، ولا تَجِدُ منفذاً كما وُجِدَ في الحروف الأربعة، وذلك اللام والنون ....، وكذلك الميم .... ، وكذلك العين والغين والهمزة ...."[٢٢].وممّا تقدّم تتّضح جملة أمور [٢٣]:

أوّلها: أنّ صوت الصدر لا يكون مع الحروف المهموسة عند الخليل وسيبويه.

وثانيها: أنّ صوت الصدر عند سيبويه لا يكون مع الزاي والظاء والذال والضاد وهي مجهورة رخوة!.

وثالثها : أنّ صوت الصدر عند سيبويه لا يكون مع اللام والنون والميم والعين والغين والهمزة، و جميعا مجهورة عنده[٢٤]، والهمزة شديدة، والغين رخوة، والبقيّة بين الرخوة والشديدة.

ورابعها : أنّ صوت الصدر عند سيبويه يكون مع القاف والجيم والطاء والدال والباء في الوقف فقط، وجميعها مجهورة شديدة عنده. فصوت الصدر إذن لا يكون عند سيبويه مع المهموسة، ولا مع طائفة من الأصوات المجهورة هي: الزاي والظاء والذال والضاد .... واللام والنون والميم والعين والغين والهمزة، ولا يكون إلّا مع خمسة أصوات هي القاف والجيم والطاء والدال والباء وجميعها مجهورة شديدة عنده[٢٥]، وإنّما يكون معها في الوقف خاصّة، وإنّه لا يكون مع شيء من الأصوات في الوصل البتّة " ولا يكون شيء من هذه الأشياء في الوصل "[٢٦]، والأشياء التي يقصدها سيبويه هنا

هي ما سمّاه (نحو النفخة) و (النفخ)، و (صوت الصدر)!.وإذن لا يمكن أن نفهم بحال من الأحوال أنّ صوت الصدر فرق بين المجهور والمهموس عند سيبويه في ضوء نصوص الكتاب التي ذكرناها؛ ذلك أنّ صوت الصدر عنده إنّما يكون مع المجهورة الشديدة (ما عدا الهمزة)، وفي حال الوقف عليها دون الوصل ولا شكّ أنّ هذا يناقض تماما ما نقله الأخفش عن سيبويه حين جعل صوت الصدر فرقا بين المجهور والمهموس عند سيبويه إذ يقول :" سألت سيبويه عن الفصل بين المهموس والمجهور فقال: المهموس إذا أخفيته ثمّ كرّرته أمكنك ذلك، وأمّا المجهور فلا يمكنك ذلك فيه، .... وأحسبه ذكر ذلك عن الخليل. قال سيبويه: وإنّما فرّق بين المجهور والمهموس أنّك لا تصل إلى تبيين المجهور إلّا أن تدخله الصوت الذي يخرج من الصدر فالمجهورة كلّها هكذا يخرج صوتهنّ من الصدر ويجري في الحلق .... وأمّا المهموسة فتخرج أصواتها من مخارجها، وذلك ممّا يزجي الصوت، ولم يعتمد عليه فيها كاعتمادهم في المجهورة، فأخرج الصوت من الفم ضعيفا، والدليل على ذلك أنّك إذا أخفيت همست بهذه الحروف، ولا تصل إلى ذلك في المجهور، فإذا قلت: شخص، فإنّ الذي أزجى هذه الحروف صوت الفم، ولكنّك تتبع صوت الصدر .... "[٢٧]. فكيف يمكن حلّ هذا التناقض ؟.

إنّنا في هذا الأمر أمام احتمالين:

أوّلهما أن يكون مفهوم سيبويه لصوت الصدر قد تطوّر عمّا هو موجود في الكتاب فأصبح المصطلح مائزا أو فارقا بين المجهور والمهموس عنده، وأنّ ما يرويه الأخفش عنه هو من شروحه وتوضيحاته التي أفادها منه بعد إتمام كتابه، ويعزّز هذا الاحتمال أنّنا لا نعثر على ذكر للمصطلح في كلام سيبويه على صفة الجهر والهمس في الأصوات في كتابه.

وثانيهما أن يكون ما نقله السيرافيّ ممّا يرويه الأخفش عن سيبويه هو من كلام الخليل، وأن يكون سيبويه ناقلا لرأي أستاذه هناك، ويعزّز هذا الرأي قول الأخفش:" وأحسبه ذكر ذلك عن الخليل "، وقوله :" قال سيبويه: وإنّما فرّق بين المجهور والمهموس .... "؛ ذلك أنّ الضمير في (فرّق) يعود . كما أفهم . على الخليل؛ لأنّ الكلام لسيبويه، فإن صحّ فهمي يكون الاحتمال الثاني مرجّحا على الأوّل.

ويبقى علينا بعد ذلك أن نبحث عن تفسير لصوت الصدر عند الخليل وعند سيبويه، ونسارع إلى

القول هنا أنّ الصدر لا علاقة له البتّة في تكوّن الصوت، فكيف يكون صوته فارقا بين المجهور والمهموس عندهما ؟.

فأمّا الخليل فقد تقدّم قوله :" الهمس حسّ الصوت في الفم مما لا إشراب له من صوت الصدر، ولاجهارة في المنطق، ولكنّه كلام مهموس في الفم كالسرّ "[٢٨]، ويمكن أن نفهم من هذا أنّ صوت الصدر عنده هو ما نحسّ به من رنين أو اهتزاز أو ذبذبات في الصدر حين نتكلّم بصوت عال، وآية ذلك أنّك إذا وضعت يدك على صدرك، وتكلّمت بصوت عالٍ شعرت بأنّ شيئا من الرنين أو الاهتزاز أو الذبذبات يصدم يدك، ولكنّك لن تشعر بشيء من ذلك إذا همست أو تكلّمت بصوت خافت ولم تظهر جرس كلامك، ويجري هذا التفسير أيضا على صوت الصدر حين يكون فارقا بين المجهور والمهموس؛ ذلك أنّك إذا وضعت يدك على صدرك ونطقت بالصوت المجهور شعرت بأنّ شيئا من الرنين أو الاهتزاز أو الذبذبات يصدم يدك، فإذا وضعت يدك على صدرك ونطقت بالصوت المهموس لم تشعر بشيء من ذلك، فهذا تفسير سهل، وقد يكون مقبولا، والراجح لديّ أنّه هو ما أراده الخليل بصوت الصدر، والتجربة الذاتيّة تؤكّد صحّة هذا الرأي، وقد جرّبت ذلك مرارا وتكرارا وتأكّد لي ذلك. ؟

وأمّا عند سيبويه فإنّ الأمر مُشْكِلٌ؛ ذلك أنّ صوت الصدر عنده (كما يظهر من نصوص الكتاب)[٢٩]، لا يكون إلّا مع خمسة أصوات هي القاف والجيم والطاء والدال والباء، هي حروف القلقة عنده، وجميعها مجهورة شديدة عنده[٣٠]، ولا يكون معها إلّا في الوقف، ولا يكون مع غيرها في وقف ولا وصل؟!.

فليس صوت الصدر فارقا بين المجهور والمهموس عند سيبويه (في كتابه) كما نقل عنه الأخفش في النصّ الذي تقدّم، وهو قوله:" سألت سيبويه عن الفصل بين المهموس والمجهور، فقال : المهموس إذا أخفيته ثمّ كرّرته أمكنك ذلك، وأمّا المجهور فلا يمكنك ذلك فيه، .... وأحسبه ذكر ذلك عن الخليل. قال سيبويه: وإنّما فرّق بين المجهور والمهموس أنّك لا تصل إلى تبيين المجهور إلّا أن تدخله الصوت الذي يخرج من الصدر، فالمجهورة كلّها هكذا يخرج صوتهنّ من الصدر ويجري في الحلق، وأمّا المهموسة فتخرج أصواتها من مخارجها، "؟!.

إلّا أن يكون فهمه قد تطوّر عمّا هو موجود في كتابه، وأنّ رأيه في صوت الصدر قد تغيّر عمّا كان

عليه هناك!. وهذا أمر لا أميل إليه، ولا يترجّح لديّ؛ لِما تقدّم من أنّ سيبويه كان ينقل كلام الخليل، وينسب القول إليه، فسيبويه بحسب النصّ السابق كان ينقل كلام الخليل!.

ونستطيع أنّ نطمئنّ وبشكل لا لبس فيه إلى أنّ صوت الصدر عند سيبويه (في كتابه) خاصّ بحال الوقف إذ يقول:" واعلم أنّ من الحروف حروفاً مشربة ضغطت من مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم صويت "، وهذا الصويت هو صوت الصدر عنده كما تقدّم وهو لازم لحروف القلقلة عنده، وهو ما سمّاه المبرّد ت٢٨٥هـ بالنبرة إذ يقول :" ومنها حروف تسمع في الوقف عندها نَبْرة بعدها، وهي حروف القَلْقَلَة؛ وذلك لأنَّها ضُغِطَتْ مواضعها "[٣١]، والنبر عند العرب " ارتفاع الصوت، يقال: نَبَرَ الرجلُ نبْرَةً إذا تكلّم بكلمة فيها عُلُوٌّ .... "[٣٢]، وهذا هو مراد المبرّد بالنبرة، وسمّاه ابن جنّيّ ت٣٩٢هـ (صَوْت) إذ يقول : " واعلم أن في الحروف حروفا مُشْرَبَةً تُحْفَزُ في الوقف، وتضغط عن مواضعها وهي حروف القلقلة ....؛ لأنّك لا تستطيع الوقوف عليها إلا بصوت"[٣٣]، فالصُّوَيْت عند سيبويه والنبرة عند المبرّد والصوت عند ابن جنّيّ في هذا الموضع هو صوت الصدر، ولا يكون إلّا في الوقف.

ويبقى لدينا نصّ لابن جنّيّ يقول فيه" فأمّا حروف الهمس فإنّ الصوت الذي يخرج معها نَفَسٌ، وليس من صوت الصدر، وإنّما يخرج منسلّا، وليس كنفخ الزاي والظاء والذال والضاد والراء شبيهة بالضاد"[٣٤]، فهل نفهم من هذا أنّ صوت الصدر عنده فارق بين المجهور والمهموس ؟.

قد يُفْهَمُ منه ذلك لكنّ تكملة النصّ تفيد شيئا آخر؛ إذ يقول ابن جنّيّ :" وجميع هذه الحروف التي تسمع معها في الوقف صوتا متى أدرجتها ووصلتها زال ذلك الصوت؛ "[٣٥]، فصوت الصدر يكون مع هذه الأصوات في حال الوقف عليها خاصّة، وقوله:" متى أدرجتها ووصلتها زال ذلك الصوت "، يدلّ على ذلك بلا أدنى شكّ. ويبقى لدينا نصّ آخر لسيبويه في الحروف المُشْرَبَة إذ ذهب الدكتور عبد الصبور شاهين إلى القول:" الأرجح في نظرنا فهو أن يكون أراد بالوصف (بالمُشْرَبة) معنى أنّها (مجهورة)، ولاسيّما حين نلاحظ توفّر الجهر في كلّ الأصوات المذكورة على رأي سيبويه، ويكون ذلك نوعا من التعبير عن الجهر سنح له، في مرحلة متقدّمة من تأليف الكتاب، حيث تصوّر أنّ صوت الفم، أشرب صوت الصدر، ثمّ صنّف على هذا الأساس كلّ الأصوات (المشربة) في رأيه، ما عدا

إغفاله لصوتي (الواو والياء)، ثمّ إنّه عدل فيما بعد عن الوصف (مشرب) إلى الوصف (مجهور)في مقابل (مهموس)، وذلك في آخر الكتاب؛ إذ كان في نظره أنسب "[٣٦].

وذهب الدكتور غانم قدّوريّ الحمد إلى أنّ مراد سيبويه منه "هو الحروف المجهورة، ولأمر ما لم يستخدم سيبويه المجهورة في هذا المكان من الكتاب .... ويكون بذلك معنى المُشْرَبَة هو الحروف التي أُشْرِبَت صوت الصدر، أي تخرج مع صوت الصدر .... "[٣٧]، وهو أمر نختلف فيه مع الأستاذين الفاضلين مع تقديرنا لعلمهما؛ لسببين أولهما: إنّ صوت الصدر لا يمكن أن يكون فارقا بين المجهور والمهموس عند سيبويه، في ضوء نصوص الكتاب كما تقدّم.

وثانيهما: إنّ سيبويه ذكر الحروف المُشْرَبَة في كلامه على الأصوات في موضعين من كتابه في قوله" واعلم أنّ من الحروف حروفاً مُشْرَبة ضُغِطَت من مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم صُوَيْت، ونبا اللسان عن موضعه وهي حروف القلقلة "[٣٨]، وفي قوله :" ومن المشربة حروفٌ إذا وقفت عندها خرج معها نَحْوُ النفخة، ولم تُضْغَطْ ضَغْطَ الأولى وهي الزاي والظاء والذال والضاد؛ لأنّ هذه الحروف إذا خرجت بصوت الصدر انسلّ آخره، وقد فتر من بين الثنايا؛ لأنّه يجد منفذاً فتسمع نحو النفخة"[٣٩]، وفي الموضعين كليهما كان الكلام على (الساكن الذي يكون قبل آخر الحروف فيحرَّك لكراهِيَتهم التقاء الساكنين)؛ ولأنّه قال بعد ذلك :" واعلم أنّ هذه الحروف التي يسمع معها الصوت، والنفخة في الوقف لا يكونان فيهنّ في الوصل إذا سكن؛ لأنّك لا تنتظر أن ينبو لسانك، ولا يفترّ الصوت حتى تبتدئ صوتاً"[٤٠]، وقوله :" لا يكونان فيهنّ في الوصل إذا سَكَنَّ "، دليل قويّ فيما نرى على أنّ المراد من كلامه هو حال الوقف خاصّة وليس الوصل.

وثَمَّ نصّ آخر لسيبويه ترد فيه كلمة (الصدر) إذ يقول في باب الهمز في وصف الهمزة إنّها :" نبرة في الصدر تخرج باجتهاد وهي أبعد الحروف مخرجا .... "[٤١]، فالكلام هنا عن مخرج الهمزة، وهو يعبّر عن بعد مخرجها، فسيبويه وعلماء العربيّة بعده لم يعرفوا أنّ مخرج الهمزة من الحنجرة، فذهب الخليل إلى أنّها " تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارِج اللسان، ولا من مدارِج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنّما هي هاوية في الهواء، فلم يكن لها حيّز تنسب إليه إلا الجوف"[٤٢]، ووصفها سيبويه بأنّها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد.

ولم يرد عند علماء العربيّة القدماء في وصف الهمزة أنّ مخرجها من الحنجرة، لكنّ ابن سينا قال في وصف تكوّنها:" أمّا الهمزة فإنّها تحدث من حَفْزٍ قويّ من الحجاب وعَضَلِ الصدر، لهواء كثير، ومن مقاومة الطِّرْجَهَاريّ الحاصر، زمانا قليلا لحفز الهواء، ثمّ اندفاعه إلى الانقلاع، بالعضل الفاتحة وضغط الهواء معا"[٤٣]، فأشار إلى الحنجرة كما يظهر من كلامه؛ لأنّ الطِّرْجَهار هو غضروف في الحنجرة[٤٤]، أو كما يسمّيه الدكتور كمال محمّد بشر بـ (الغضروف الهرميّ)[٤٥].

المصادر والمراجع

. القرآن الكريم.

. أصوات العربية بين التحوّل والثبات : الدكتور حسام سعيد النعيميّ، دار الكتب للطباعة والنشر . الموصل، ١٩٨٩م.

. الأصوات اللغويّة : د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصريّة ، ط٥ ، ١٩٧٥م.

. كتاب الأضداد : محمّد بن القاسم الأنباريّ ت٣٢٨هـ، تحـ: محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة . صيدا ، بيروت، ١٩٨٧م.

. البحث اللغويّ عند العرب مع دراسة لقضيّة التأثير والتأثّر : د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتاب . القاهرة ، ط٦ ، ١٩٨٨م.

. تهذيب اللغة : أبو منصور محمّد بن أحمد الأزهريّ ت٣٧٠هـ، تحـ: عبد السلام محمّد هارون وآخرين، الدار المصريّة للتأليف والترجمة ودور نشر أخرى، ١٩٦٤م . ١٩٧٥م.

. الجهر والهمس عند سيبويه في ضوء الدرس الحديث : أحمد محمّد قدّور، مجلّة مجمع اللغة العربيّة . دمشق، المجلّد ٨٦ ، العدد ٣ .

. الدراسات الصوتيّة عند علماء التجويد : د. غانم قدّوريّ الحمد، دار عمّار للنشر والتوزيع . عمّان، ط٢، ٢٠٠٧م.

. دراسات في علم اللغة : د. كمال محمّد بشر ، دار المعارف بمصر ، ط٩، ١٩٨٦م.

. الدراسات اللهجيّة والصوتيّة عند ابن جنّيّ : د. حسام سعيد النعيميّ، دار الرشيد للنشر . بغداد، ١٩٨٠م.

. رسالة أسباب حدوث الحروف : أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا ت٤٢٨هـ، تحـ: محمّد حسّان الطيّان ، ويحيى مير علم ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .

. سرّ صناعة الإعراب : أبو الفتح عثمان بن جنّيّ ت٣٩٢هـ، تحـ: د. حسن هنداويّ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.

. كتاب سيبويه : سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت١٨٠هـ، تحـ: عبد السلام محمّد هارون ، مكتبة الخانجيّ ـ القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٨م.

. شرح شافية ابن الحاجب : رضيّ الدين محمّد بن الحسن الأستراباديّ ت٦٨٨هـ، تحـ: محمّد نور الحسن وآخَرَيْنِ، دار الكتب العلميّة . بيروت، ١٩٨٢م.

. شرح كتاب سيبويه : أبو سعيد السيرافيّ، الحسن بن عبد الله بن المرزبان ت٣٦٨هـ، تحـ: أحمد حسن مهدليّ، وحسن سيّد عليّ، دار الكتب العلميّة . بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

. شرح المفصّل للزمخشريّ : يعيش بن عليّ بن يعيش ت٦٤٣هـ، تحـ: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة . بيروت، ط١ ، ٢٠٠١م.

. صوت الصدر بين الجهر والهمس : د. أحمد محمّد قدّور، مجلّة مجمع اللغة العربيّة . دمشق، المجلّد ٨٩ ، العدد ٣ .

. الصوت اللغويّ في القرآن : د. محمّد حسين عليّ الصغير ، دار المؤرّخ العربيّ . بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

. علم اللغة مقدّمة للقارئ العربيّ : د. محمود السعران، دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر . بيروت.

. في التطوّر اللغويّ : د. عبد الصبور شاهين ، مؤسّسة الرسالة . بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٥م.

. القانون في الطبّ : أبو عليّ الحسين بن عليّ بن سينا ت٤٢٨هـ، تحـ: محمّد أمين الضنّاويّ، دار الكتب العلميّة . بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

. كتاب العين : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيديّ ت١٧٥هـ، تحـ: د. مهديّ المخزوميّ و د. إبراهيم السامرّائيّ، دار الرشيد للنشر . بغداد ، ١٩٨٠م. ومطابع أخرى .

. لسان العرب : جمال الدين محمّد بن مكرّم بن منظور المصريّ الإفريقيّ ت٧١١هـ، دار صادر . بيروت.

. المقتضب : أبو العبّاس محمّد بن يزيد المبرّد ت٢٨٥هـ، تحـ: محمّد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب . بيروت.

الهوامش

(١) كتاب العين ١٠/٤ .

(٢) كتاب سيبويه ١٧٥/٤ .

(٣) الأصوات اللغوية ١٢٢ ، وينظر : البحث اللغويّ عند العرب ١١٦ ـ ١١٧، والدراسات الصوتيّة عند علماء التجويد ١١٥، والصوت اللغويّ في القرآن ٢١.

(٤) في التطوّر اللغويّ ٢٠١ .

(٥) المرجع السابق ٢٠١ .

(٦) الدراسات الصوتيّة عند علماء التجويد ١١٥ .

(٧) شرح السيرافيّ لكتاب سيبويه ٣٩٥/٥ ـ ٣٩٦ .

(٨) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي ٣١٩ .

(٩) ينظر: كتاب سيبويه ١٧٥/٤، وسرّ صناعة الإعراب ٦٣/١، وسنحيل على سرّ صناعة الإعراب مع كتاب سيبويه في المواضع التي تتشابه فيها النصوص.

(١٠) الرُّغامى : قصبة الرئة . ينظر : اللسان (رغم) ٢٤٨/١٢ .

(١١) الجهر والهمس عند سيبويه في ضوء الدرس الحديث ٧٠٦ مجلّة مجمع اللغة العربيّة . دمشق، المجلّد ٨٦ ، العدد ٣.

(١٢) صوت الصدر بين الجهر والهمس ٦٨٨ مجلّة مجمع اللغة العربيّة . دمشق، المجلّد ٨٩ ، العدد ٣.

(١٣) الأضداد ٤١٠ ـ ٤١١ ، وينظر : شرح المفصّل ٥٢٣/٥ .

(١٤) في الأصل : يرخى ، والتصويب من شرح السيرافيّ لكتاب سيبويه ٣٩٦/٥ .

(١٥) شرح شافية ابن الحاجب ٢٥٨/٣ . ٢٥٩ .

(١٦) الدراسات الصوتيّة عند علماء التجويد ١١٧ .

(١٧) كتاب سيبويه ١٧٥/٤ ، وينظر : سرّ صناعة الإعراب ٦٣/١ .

(١٨) كتاب سيبويه ١٧٤/٤ ، وينظر: سرّ صناعة الإعراب ٦٣/١ .

(١٩) كتاب سيبويه ١٧٤/٤ .

(٢٠) ينظر : اللسان (سلل) ٣٣٨/١١، و (فتر) ٤٣/٥.

(٢١) كتاب سيبويه ١٧٥/٤ ، وينظر : سرّ صناعة الإعراب ٦٣/١ .

(٢٢) كتاب سيبويه ١٧٥/٤ ، وينظر : سرّ صناعة الإعراب ٦٣/١ .

(٢٣) ويظهر أنّ ابن جنّيّ تابع كتاب سيبويه في هذا الموضوع، ولم يلتفت إلى ما ورد في شرح السيرافيّ، أو لم يقف عليه، إذ لم نجد لما نقله الأخفش عن سيبويه في هذا الموضوع أثراً في سرّ صناعة الإعراب.

(٢٤) كتاب سيبويه ٤٣٤/٤ .

(٢٥) ينظر: المصدر نفسه ٤/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥ .

(٢٦) المصدر نفسه ١٧٦/٤ .

(٢٧) شرح السيرافيّ لكتاب سيبويه ٣٩٥/٥ ـ ٣٩٦ .

(٢٨) كتاب العين ١٠/٤ .

(٢٩) ينظر : كتاب سيبويه ١٧٣ ـ ١٧٥ .

(٣٠) والطاء والقاف مهموسة عند المحدثين . ينظر : الأصوات اللغويّة ٢١ ، وعلم اللغة ١٦٠ .

(٣١) المقتضب ١٩٤/١ .

(٣٢) اللسان (نبر) ١٨٩/٥ .

(٣٣) سرّ صناعة الإعراب ٦٣/١ .

(٣٤) المصدر نفسه ٦٣/١ .

(٣٥) المصدر نفسه ٦٤/١ .

(٣٦) في التطوّر اللغويّ ٢١٦ .

(٣٧) الدراسات الصوتيّة عند علماء التجويد ١١٦ .

(٣٨)كتاب سيبويه ١٧٤/٤ .

(٣٩) كتاب سيبويه ١٧٤/٤ .

(٤٠) المصدر نفسه ١٧٥/٤ .

(٤١) المصدر نفسه ٥٤٨/٣ .

(٤٢) كتاب العين ٥٧/١ .

(٤٣) رسالة أسباب حدوث الحروف ١١٤ .

(٤٤) ينظر : القانون في الطبّ ٦٦ .

(٤٥) ينظر : دراسات في اللغة ١٢٧ .